منشأ حفظ

يوم الأحد

تاليِف: چون كروز بُل

مَنْشَــأُ حِفْــظِ يَــوْمِ الأَحَــدِ

تأليف : جون كروزبُل

تنبأ الرسول بولس في ٢ تسالونيكي عن حدوث ارتداد هائل في الكنيسة قبل المجيء الثاني للمسيح. فقال: «ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ، أَنْ لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعًا عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلاَ تَرْتَاعُوا، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ. لاَ يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا، لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْتَعْلَنْ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ» (٢تسالونيكي ٢: ١-٣). أما كلمة ارتداد فهي تأتي من الكلمة اليونانية «أبوستاسيا» التي تعني الارتداد عن الحق أو الزيغان عنه.

حذر الرسول بولس من حدوث ارتداد عظيم قبل مجيء المسيح ثانية، وإذا تابعتم القراءة ستلاحظون أنه يقول في العدد الخامس: «أَمَا تَذْكُرُونَ أَنِّي وَأَنَا بَعْدُ عِنْدَكُمْ، كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ هذَا؟» كان قد علَّم هذه الأشياء للكنائس المسيحية، ولم يكن بولس الوحيد الذي قدم هذا التحذير. فإن بطرس أيضاً تنبأ بنفس الارتداد الهائل الذي سيكتسح الكنيسة (انظر ٢بطرس ٢).

كما أن الرسول بولس أيضاً أشار إليه في مقابلته الأخيرة مع شيوخ كنيسة أفسس. ويمكنكم أن تلاحظوا وجود عدة تفاصيل شيقة في أعمال ٢٠: ٢٩-٣١، حيث تم تسجيل المناقشة، عمّا قال بولس إنه سيحدث «لأَنِّي أَعْلَمُ هذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لاَ تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلاَمِيذَ وَرَاءَهُمْ. لِذلِكَ اسْهَرُوا، مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلاَثَ سِنِينَ لَيْلاً وَنَهَارًا، لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ».

نرى في هذه الفقرة أن أعظم خطر على الكنيسة المسيحية لم يكن مقاومة العالم الوثني من الخارج، بل الارتداد الذي سيحدث في الداخل. وهو سيصدر عن تلاميذ يقولون أشياء محرفة ليجتذبوا التلاميذ بعيداً وراءهم. ونحن نعلم أن من يقول الحقيقة كما هي في المسيح يجتذب تلاميذ للمسيح لا لنفسه. ولكي يجتذب أحد التلاميذ لنفسه يجب أن يحرف الحقيقة ويرتد. فما من قس مسيحي حقيقي يحاول اجتذاب التلاميذ لنفسه أبداً.

كما أن هناك اعتبار آخر يجعل هذا الخطر أشد وطأة. هل تعلمون إلى من وجه الرسول هذا الكلام؟ كان هذا الكلام موجهاً للأساقفة، لخدام الكنيسة وشيوخ المسيحيين. قال بولس: «وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ» ، أي من الرجال الذين اختيروا لإرشاد كنيسة المسيح ورعايتها، سيقوم أناس يحرفون دعوتهم ليرفعوا من شأن ذواتهم ويجمعوا التلاميذ حولهم.

وإذ نقرأ رسائل الرسل في العهد الجديد، نراهم يراقبون هذا الروح باستمرار، فيكبحون تأثيره ويحتاطون من أعماله. فكما هو مبين في ٢تسالونيكي ٢: ٧ سر الإثم يعمل بالفعل. فقد كانت في ذلك الوقت عناصر منتشرة استطاع الرسول بولس أن يرى كيف ستتطور فتحقق كل ما تنبأ به الكتاب المقدس. وما كاد الرسل يموتون حتى ظهر هذا الشر في الكنيسة.

يقول المؤرخ في هذا: «لم يكد الرسل يختفون عن مسرح الأحداث، ولم يكد يتوقف انتباههم اليقظ وتنتهي سلطتهم الرسولية، حتى ظهر هذا الشيء الذي تحدث عنه الرسول قبلاً. فإن بعض الأساقفة شرعوا في

تبـني عـادات ومراسـم وثنيـة رغبـةً منـهم في تسـهيل اعتنـاق الوثنيـين للمسـيحية ومضاعفـة عـدد التلاميـذ، ممـا يزيـد نفوذهـم وسـلطتهم» (*The Great Empires of Prophecy, 337, by Alonzo T. Jones*).

فكيـف بـدأ هـذا الارتـداد العظيـم؟ بـدأ علـى هيئـة حملـة كرازيـة هائلـة. فـإن الارتـداد نشـأ بسـبب الحـرص علـى مصـالح الكـرازة. فمـن أجـل «تسـهيل اعتنـاق الوثنيـين للمسـيحية ومضاعفـة عـدد التلاميـذ»، اخفضـوا المعيـار المطلـوب للانضمـام لعضويـة الكنيسـة. وفي غضـون عشـرين عامـاً مـن مـوت الرسـل، كـان تحريـف حـق المسـيح قـد انتشـر انتشـاراً واسـعاً. ويكتـب موشـهايم عـن التطـورات الـتي حدثـت في العـالم المسـيحي في القـرن الثـاني: «مـن المؤكـد أن شـعائر جديـدة أضيفـت إلى العبـادة الدينيـة – العامـة منـها والخاصـة – بـدون داعٍ، وكـانت هـذه الإضافـات تسـيء إلى الرجـال الصـالحين أصحـاب الرزانـة».

والسـبب الداعـي إلى ذلـك مبيَّـن. «اتُّـهم المسـيحيون بـالكفر لعـدم وجـود المعـابد لديـهم، أو المذابـح أو الأضـاحي

أو الكهنة، أو أي شيء من الأبهة التي يظن العامة أنها جوهر الديانة. هذا لأن غير المستنيرين يميلون إلى الحكم على الدين بما يبدو للأعين. فلإسكات هذا الاتهام، رأى علماء المسيحية ضرورة إدخال بعض الشعائر الخارجية، التي تذهل حواس الناس ليستطيعوا أن يحافظوا هم أنفسهم في الواقع على تلك الأمور التي اتُّهم المسيحيون بالافتقار إليها – وإن كان ذلك تحت ستار آخر» (*Ecclesiastical History,* century 2, part 2, chap. 4, par. 1,3).

ولتنفيذ ذلك «كان على العبادة المسيحية وطقوسها أن تتكيف مع طقوس العبادة الوثنية، مما كان سيقلب المسيحية إلى الوثنية في خطوة واحدة. لا يمكن اقتران أي عنصر وثني بالمسيحية أو بعبادتها وتظل المسيحية بعده نقية» (*The Great Empires of Prophecy,* 378). كان النبي في أزمنة العهد القديم يتّهم شعب الله بالزنا الروحي كلما حاولوا خلط أشكال العبادة الوثنية بعبادة الله الحقيقي (انظر حزقيال ١٦: ٢٣؛ هوشع).

كانت العبادات الوثنية في مطلع القرن الثاني

المسيحي متمركزة كلها تقريباً حول عبادة الشمس. فكان الناس يتعبدون عند طلوع الشمس مقتبلين الشرق. وكان ذلك أول طقس وثني دخل الكنيسة المسيحية، إذ بدأ المسيحيون يجتمعون عند طلوع الفجر، فيما عُرِف لاحقاً باسم عيد القيامة، وكانوا يقولون: «هذا وقت قيامة المسيح، وسوف نعلّم الناس أننا نجتمع عند طلوع الشمس لا لنتعبد للشمس، بل لنتعبد لمن أقيم عند طلوع الشمس». ويضيف موشهايم أيضاً: «قبل مجيء المسيح كانت كل الشعوب الشرقية تقيم شعائر العبادة الإلهية بإدارة وجوههم إلى الجهة التي تنشر فيها الشمس أشعتها وقت الشروق... ولم تبطل هذه العادة حتى في أيامنا، لكنها تسود في عدد كبير من كنائسنا المسيحية» (*Ecclesiastical History,* century 2, part 2, chap. 4, par. 7).

يبدو طريق التنازلات وكأنه لا ينتهي طالما وضعت الخطوة الأولى عليه. فبالإضافة لما سبق، تبنّت الكنائس المسيحية يوم الشمس كيوم احتفال، وتعلم

الناس أن يصوموا يوم السبت. تأملوا في تأثيرات هذا على الأطفال الصغار، حينما لا يجدون ما يأكلونه كل سبت، في حين يمكنهم الحصول على كل ما يحلو لهم يوم الأحد. فأي يوم سيتعلمون أن يحبوه ويتطلعوا إليه بكل شغف؟

مُورست عبادة الشمس بدرجة كبيرة في الكنائس «المسيحية» حتى أنه قبل انتهاء القرن الثاني اتّهَم الوثنيون الكنيسة المرتدة بعبادة الشمس. ونحن نعلم هذا لأن أحد الآباء المسيحيين، الذي كتب حوالي سنة ٢٠٠ م. رأى ضرورة الدفاع عن هذه الممارسة. وإليكم ما قاله: «والآخرون أيضاً الذين لهم علم ومصداقية أوفر يظنون أنّ الشمس إلهنا ... ولا شك أن منشأ هذه الفكرة أننا نتجه ناحية الشرق في الصلاة. ولكن الكثيرين منكم الذين يتظاهرون أحياناً بعبادة الأجرام السماوية، يحرّكون شفاههم ناحية طلوع الشمس. وبنفس الطريقة إذا كرّسنا نحن يوم الأحد للبهجة، لسبب أبعد ما يكون عن عبادة الشمس، فإننا نشابه أولئك الذين يكرّسون يوم زُحل (السبت) للراحة والترف»

(Apology, chap. 16, by Tertullian). تقـــول حجتـــه في الحقيقـــة: أنتـــم تفعلـــون نفـــس الشـــيء وأنتـــم الذيـــن أنشـأتموها، فلمـاذا تلومونــــا؟

وبانتشـــار هـــذه العـــادات وتضـــاعف التلاميـــذ أنصـــاف الوثنيـــين، تضـــاعفت الممارســـات الوثنيـــة الـــتي دخلـــت الكنيســـة. كـــان مـــن عـــادة المســـيحيين اليـــهود أن يتذكـــروا مـــوت المســيح أثنـــاء موســـم الفصـــح. وكـــان يـــوم الفصـــح وهـــو اليـــوم الرابـــع عشـــر مـــن الشـــهر الأول في الســـنة اليهوديـــة يحـــل في أيـــام مختلفـــة مـــن أيـــام الأســـبوع. لكـــن رومـــا، ومـــن بعدهـــا كـــل الإمبراطوريـــة الغربيـــة، تبنـــت يـــوم الأحـــد يومـــاً لهـــذا الاحتفـــال. فحكمـــت رومـــا بـــأن الاحتفـــال بالقيامـــة يجـــب أن يكـــون دائمـاً يـــوم أحـــد. وآنـــذاك اســـتأثر أســـقف رومـــا لأول مـــرة بـالحكم المطلـق لمـا حـاول إجبـــار النـــاس علـــى الطاعـــة.

نحـــن لا نعلـــم علـــى وجـــه التحديـــد متـــى بـــدأت هـــذه الممارســـة، إلا أنـــها صـــارت تُمـــارس في رومـــا منـــذ عـــهد سكســـتوس الأول، الـــذي كـــان أســـقفاً علـــى رومـــا مـــن ١١٩ إلى ١٢٨ م. وعززهـــا خليفتـــه أنتيســـيدوس الـــذي كـــان أســـقفاً

علـى رومـا مـن ١٥٧ إلى ١٥٨ م. ويقـول المـؤرخ فيـه إنـه: «أبـى أن ينصـاع وراء تلـك العـادة (الشـرقية) بنفسـه، بـل ولم يسـمح لأي فـرد في ولايتـه بالانصيـاع وراءهـا، فطالبـهم بالاحتفـال رسمياً بذلـك العيـد في يـوم الأحـد التـالي للرابـع عشـر مـن الشـهر» (*History of the Popes under Pius and Antecitus, by Bowe*).

وبانتـهاء القـرن الثـاني كتـب فكتـور – أسـقف رومـا مـن ١٩٢ إلى ٢٠٢ م – إلى رجـال الإكلـيروس المسـيحيين الآسـيويين «آمـراً إيـاهم بـالاقتداء بالمسـيحيين الغربيـين فيمـا يتعلـق بتوقيـت الاحتفـال بعيـد القيامـة. فـرد الآسـيويون علـى هـذا الطلـب المتكـبر مـن خـلال بولكراتـس، أسـقف أفسـس، الـذي صـرح باسمـهم بحماسـة وعزيمـة شـديدة، أنـهم لـن ينحرفـوا بـهذه الطريقـة عـن العـادة الـتي تقلدوهـا مـن آبائـهم مـهما كـان الأمـر» (*Ecclesiastical History,* century 2, part 2, chap. 4, par. 11, by Mosheim).

ونتيجـةً لذلـك أخـذ فكتـور يسـتخدم سـلاح الحرمـان الكنسـي، فـأوقف الوحـدة معـهم، وأعلـن أنـهم غـير

مستحقين أن يدعوا اخوة وأبعدهم عن الشركة مع كنيسة روما.

وبنهاية القرن الثاني، بل وبالأكثر في القرن الثالث، صعب التمييز بين الوثنية وهذا النوع من المسيحية. وخلال ذلك الوقت ارتفع مد الفلسفة الوثنية بأقصى قوته، حتى أن مدرسة فلسفية وثنية عرفت بالمدرسة الانتقائية قامت في الإسكندرية. وهي التي دُعيت أيضاً بالأفلاطونية، هذا لأن فلاسفتها كانوا يعتبرون أفلاطون أسمى شخص اقترب من الحقيقة أكثر من غيره. ومن هؤلاء الفلاسفة نشأ النظام القائم على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً رمزياً صوفياً.

ومن أوائل من اعتنق هذه الفلسفة من المسيحيين إكليمندس السكندري. وصار رئيساً لمثل هذه المدرسة في الإسكندرية، وطوّر بعد ذلك نفس هذه النظرية الفلسفية. إنّ مدينة الإسكندرية ومدينة روما هما المدينتان اللتان يرد ذكرهما مراراً وتكراراً في سياق دراسة حفظ يوم الأحد.

ألقى أنصار التفسير الرمزي هؤلاء على الأسفار

المقدسة غمامة عظيمة وطوروا نظاماً يمكن عن طريقه إيجاد ما يحلو للمرء أن يجده في أي نص كتابي. وعن طريق قواعد تفسيرهم الرمزي جُعِل الكتاب المقدس دعامة لكل عقيدة تفتّقت عنها قريحة المتعصبين المتطرفين في آرائهم. وأضرّت هذه الفلسفة بالمسيحية إضراراً جسيماً. «لأنها قادت المعلمين بها إلى إدخال أجزاء كثيرة من ديانتنا إلى حيز الغمامة الفلسفية، بعد أن كانت تلك الأجزاء واضحة وسهلة للفهم؛ وإلى إضافة أشياء غير قليلة إلى وصايا المخلص، لا يرد أي ذكر لها في الكتاب المقدس ... فحضّت المسيحيين على ممارسة شتى الشعائر الحمقاء والعقيمة التي لم تساعد إلاّ في تغذية الخزعبلات، ولا يزال الكثير منها يمارس دينياً حتى اليوم» (*Ecclesiastical History, century 2, part 2, chap. 1, par. 12, by Mosheim*). وقد أبعد هذا المذهب الرمزي الكثيرين في القرون اللاحقة عن المسيحية ذاتها وأنتج خليطاً من المسيحية والمباديء الأفلاطونية.

وسنُضمِّن هنا مثالاً واحداً على التفسير الرمزي للكتاب المقدس. فهؤلاء المدعوون مسيحيين الذين

تجرّعوا الفلسفة الوثنية اخترعوا نظرية الثمانية أيام عند دراستهم عن نوح والطوفان. فقالوا إنه بما أنّ ثمانية أشخاص نجوا في الفلك، وبما أنّ الأحد هو اليوم الثامن، فمن ثم يجب علينا حفظ الأحد. لقد رأوا في هذه الرواية من سفر التكوين حجة على حفظ الأحد. إذا فسرت كل شيء في الكتاب المقدس تفسيراً رمزياً، ولم تأخذه على علاته، فلا علم لنا بما ستصل إليه بتفسيرك هذا!

أما في عهد قسطنطين فاندمجت تطورات الوثنية الجديدة مع الصورة الوثنية المرتدة من المسيحية العابدة للشمس. وفي قسطنطين ذاته تحققت جميع مطامع الأباطرة السابقين في ديانة عالمية، كما تحققت أيضاً فلسفة «الأصل» وطموح الأساقفة المتعالين، وخلقت ديانة إمبراطورية «عالمية» جديدة. كتب مِلمان عن هذا على هذا النحو: «يشكل حكم قسطنطين الأكبر حقبة من حقب تاريخ العالم. وهي حقبة انحلال الإمبراطورية الرومانية، وبداية أو اندماج نوع من الاستبداد الشرقي، له عاصمته الجديدة وطبقة نبلاء جديدة ودستور جديد

ونظـام مـالي جديـد وفقـه جديـد، غـير أنـه غـير كـامل، وأخـيراً ديانـة جديـدة» *(History of Christianity, book 3, chap. 1, by Milman)*. «وكـانت تلـك الحقبـة الـتي شُـكِّلت هـي حقبـة البابويـة، وكـانت الديانـة الجديـدة الـتي خُلِقـت هـي الديانـة البابويـة» *(The Great Empires of Prophecy, 395, by Alonzo T. Jones)*. فكـانت تلـك بدايـة العصـر المظلـم الكئيـب الـذي خيَّـم علـى أوروبـا أكـثر مـن ألـف عـام.

ويقـول مـؤرخ آخـر عـن حكـم قسـطنطين: «إنـه الخاتمـة الحقيقيـة للإمبراطوريـة الرومانيـة، فبـالرغم مـن أنّ الرومـان هُـم الذيـن غـزوا اليونـان سياسـياً وعسـكرياً، إلاَّ أنّ اليونـان حطمـوا الرومـان فكريـاً وأخلاقيـاً. ويتمـيز الانتقـال مـن إمبراطوريـة إلى أخـرى تمـيزاً أكيـداً وفجائيـاً بعاصمـة جديـدة وديانـة جديـدة ودسـتور جديـد، وفـوق الكـل، سياسـة جديـدة. فقـد اسـتولى رجـل طمـوح علـى السـلطة الإمبراطوريـة بتظـاهره بالدفـاع عـن مصـالح حـزب يـزداد نمـواً. فكـانت النتيجـة المحتومـة اتحـاد الكنيسـة بالدولـة وتحويـل الطبقـات الخطـرة مـن الاتجاهـات المدنيـة إلى

الاتجاهـــات الكنســية والتفسّـــخ في تجســد الديانـــة»
(*Intellectual Development of Europe, chap. 10, par. 24, by Draper*).

قبـل مجمـع نيقيـة سـنة ٣٢٥ م، كـان الأسـاقفة المشـتركون في الجـدال الدونـاتي قـد أجلّـوا أسـقف رومـا إجـلالاً خاصـاً بإعلانـهم عـن وجـوب حفـظ عيـد القيامـة في نفـس اليـوم مـن كـل عـام وأن يكـون هـذا اليـوم أحـداً، وأنّ ذلـك واجـب علـى جميـع الكنـائس في العـالم. هـذا الاتحـاد بـين الكنيسـة والدولـة وإعـلاء شـأن أسـقف رومـا وتوقـير يـوم الأحـد وغـيره مـن العـادات الوثنيـة، لم تصحبـها نهضـة أو إصـلاح كنسـي، بـل تأثـير عكسـي تمامـاً.

وحـول ذلـك الوقـت – بـالتحديد سـنة ٣٢١ م – تم إعـلان أول قـانون يـأمر بحفـظ الأحـد علـى يـد قسـطنطين. ونلاحـظ أن هـذا القـانون لا يشـتمل علـى أي عنصـر مسـيحي. فـلا يوجـد ذكـر لقيامـة المسـيح أو الوصيـة الرابعـة. وإليكـم بنـص القـانون: «مـن قسـطنطين الإمـبراطور المخـوف إلى هِلبديـوس: ليسـترح القضـاة والعـوام السـاكنون في المـدن في يـوم الشـمس المُوَقَّـر، ولتُغلـق كـل محـال العمـل.

أمـا في الريـف فليسـتمر الأشـخاص العـاملون بالزراعـة في مزاولـة أعمـالهم بحريـة؛ لأنـه مـن الـوارد أن يكـون أي يـوم آخـر غـير مناسـب لبـذر الحبـوب أو غـرس الكـروم، لئـلا نتسـبب بإهمالنـا للوقـت الملائـم لهـذه العمليـات في إضاعـة هبـة السـماء السـخية». (صـادر بتـاريخ ٧ مـارس، برعايـة كرسـبوس وقسـطنطين، كـلٌ منـهما عُيِّـن قنصـلاً للمـرة الثانيـة) (*God Predicts Your Future, 268, by John Crosboll*. أصـلاً مقتبـس مـن *History of the Christian Church, vol. 3, par. 5, note 1*).

هـل لاحظتـم عـدم وجـود أي أسـباب كتابيـة لحفـظ يـوم الأحـد، وهـل لاحظتـم مـاذا يُدعـى؟ يـوم الشـمس الموقـر.

عنـد كـل خطـوة نحـو اعتنـاق عبـادة الشـمس وتبنّـي حفـظ يـوم الأحـد، احتـج أولئـك الذيـن ظلـوا أمنـاء للمسـيح ولحـق كلمـة الله النقيـة علـى الخيانـة الشـعبية. فـهؤلاء المسـيحيون المؤمنـون بالكتـاب المقـدس حفظـوا سـبت الـرب حسـب الوصيـة، كعلامـة تمـيّز الـرب كخـالق للسـماوات والأرض عـن بـاقي الآلهـة الأخـرى (انظـر عـبرانيين ٤ وخـروج ٣١). لذلـك اعـترض هـؤلاء المسـيحيون علـى كـل

طور وشكل من عبادة الشمس.

ولما حاولت الكنيسة فرض يوم الأحد بقوة قانون الدولة، اشتدّ هذا الاعتراض أكثر من ذي قبل. وسعياً منها لتحقيق غرضها الأصلي، كان ضرورياً للكنيسة المرتدة أن تضمن تشريعاً ينهي كل إعفاء ويحرّم حفظ السبت؛ لقمع هذا الاعتراض الشديد. وهذا ما أنجزه مجمع لاودكية في قانون رقم ٢٩، حوالي سنة ٣٤٦ م. (لا تُعرف السنة على وجه الدقة). وهذا ما نصه القانون: «لا يتهوّد المسيحيون فيستريحون يوم السبت». لاحظوا كلمة «يتهوّد». فبعد ذلك بألف سنة، بل وحتى في يومنا هذا، إذا قرأت وثيقة مكتوبة بواسطة أبٍ يسوعي تتحدث عن التهوّد، فستجد أنها تشير بذلك إلى حفظ يوم السبت. وقد استُخدم هذا اللفظ ضد كل من حفظ اليوم السابع كيوم للراحة.

«لا يتهوّد المسيحيون فيستريحون يوم السبت، بل ليعملوا في ذلك اليوم، ويكرموا يوم الرب إكراماً خاصاً. ولكونهم مسيحيين عليهم أن لا يعملوا أي عمل في ذلك اليوم، بقدر الإمكان. ولكن إذا اكتُشِف أنهم يتهوّدون،

فسيُبعدون عن المسيح» (مجمع لاودكية، قانون رقم ٢٩).

وأثناء عهد ثيودوسيوس تم إصدار قانون سنة ٢٨٦ م عزَّز هذه التغييرات القديمة التي أجراها الإمبراطور قسطنطين بمزيد من الصرامة، إذ حرَّم كل المعاملات التجارية عموماً تحريماً تاماً يوم الأحد. وكل من عصى ذلك القانون كان يُتّهم بانتهاك الحرمات.

حرَّم قانون يوم الأحد العمل، ولكن نظراً لأنّ شعب تلك الكنيسة المرتدة لم يكونوا متدينين بما يكفي لتكريس اليوم للتقوى والتدريبات الأخلاقية، انحصر تأثير القانون في فرض الكسل فقط. فضاعف هذا الكسل الجبري فرص المجون، فنتج من ذلك أن اكتظت المسارح والسيرك كلّ أحد بالجماهير. ولم يكن هذا ما أراده الأساقفة، فاشتكوا أنه بسبب هذه المنافسة يتردد الناس على المسارح أكثر من الكنائس. فكانت الخطوة الثانية وهي الأمر بإغلاق المسارح والسيرك يوم الأحد، بالإضافة إلى الأيام الكنسية الأخرى، فلا تكون هناك منافسة. وكان

هنـــاك عـــدد كبـــير مـــن أعضـــاء الكنيســـة يعملـــون في المســارح والســيرك، فبــدلاً مــن تــرك عملــهم، صــاروا يعملــون يــوم الأحــد. فاشــتكى الأســاقفة مــن أن هــؤلاء الرجــال أُجــبروا علــى العمــل ومُنعــوا مــن العبــادة، ودعــوا هــذا اضطــهاداً وطلبــوا المزيــد مــن قوانــين الأحــد «للحمايــة»، فسُــنَّ قــانون أخــر ســنة ٤٠١ م حــرَّم تمثيـل المســرحيات يــوم الأحــد أو في أيــام الأعيــاد.

ومــع ذلــك تبقّــت مشــكلة. فقــد وُجِــد أنّ مجــرد إغــلاق الســيرك لم يضطــر النــاس إلى الذهــاب للكنيســة. فكــانت الخطــوة المنطقيــة التاليــة هـــي إجبــار النــاس علــى التديــن والتقــوى. فجــهّز الأســاقفة الثيوقراطيــون نظريــة وفَّــت تمامــاً بمطــالب القضيــة. قــال أوغســطينوس أســقف هيبــو مــا يلــي: «يجــب إلــزام الكثــيرين علــى العــودة إلى ربــهم، كعبيــد أشــرار، بعصــا المعانــاة المدنيــة، قبــل أن يبلغــوا أعلــى مراتــب النمــو الديــني» (*The Correction of Donatists, chap. 6,by Augustine*). ويقــول المــؤرخ – عــن صــدق– بشــأن هــذه النظريــة: «إذن فأوغســطينوس هــو الــذي اقــترح وأســس النظريــة الــتي ... ضمــت جرثومــة ذلــك النظــام

الكامل المبني على الاستبداد والتعصب والاضطهاد الروحي، الذي انتهى بمحاكم التفتيش» (*History of the Christian Religion and Church, vol. 2, sec. 2, part 3, division 1, by Neander*).

من ثم يا أحبائي، يحتوي تشريع يوم الأحد بداخله على الأساس الفلسفي للاضطهاد الديني. لا تنسوا هذا أبداً. **فأينما يُسَن تشريع بحفظ يوم الأحد، يعقبه الاضطهاد لا محالة.**

لقد تنبأ الرب بهذا منذ مئات السنين قبل حدوثه في دانيال ١١ : «فَتَأْتِي عَلَيْهِ سُفُنٌ مِنْ كِتِّيمَ (قبرص) فَيَيْئَسُ وَيَرْجِعُ وَيَغْتَاظُ عَلَى الْعَهْدِ الْمُقَدَّسِ، وَيَعْمَلُ وَيَرْجِعُ وَيَصْغَى إِلَى الَّذِينَ تَرَكُوا الْعَهْدَ الْمُقَدَّسَ» (دانيال ١١ : ٣٠). ما هو عهد الرب الذي سيغتاظ عليه؟ «فأعلن لكم عهده الذي أمركم بتنفيذه، الوصايا العشر، وكتبها على لوحي حجر» (تثنية ٤ : ١٣). كما تقرأون في العبرانيين، في العهد الجديد أن ناموس الله مكتوب في القلب.

وقد رأينا لتونا من هي هذه السلطة التي ستقوم ضد

ناموس اللّه. فقد حان الوقت الذي اشتدّ فيه غيظ كنيسة روما على عهد الله المقدس، حتى أنّها في النهاية اعتبرت كل من يحفظ الوصية الرابعة القائلة بحفظ اليوم السابع، أو الوصية الثانية التي حرَّمت عبادة الأصنام، يستحق الموت – بأقسى الوسائل التي يمكن تخيلّها.

نقرأ في دانيال ١١ : ٣٣ أنّ شعب الله، في أثناء هذه الضيقة العظيمة، «يَعْثُرُونَ بِالسَّيْفِ وَبِاللَّهِيبِ وَبِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّامًا». ولكن رغم كل التعذيبات المريعة التي أصابت هؤلاء الأمناء، كان من المستحيل إجبارهم على حفظ الأحد والعمل يوم السبت. كان من المستحيل إخماد رغبة المسيحيين الصادقة في إطاعة الله واتباع كلمته وصنع مشيئته إخماداً تاماً. إذ كانت هناك جماعات كثيرة في أنحاء العالم آنذاك حفظت ناموس الله وعلّمته للآخرين.

دعونا نطالع قصص بعض هؤلاء الناس:

من أشهر اللاهوتيين قاطبةً في ذلك الوقت رجل اسمه لوسيان، عاش من ٢٥٠–٣١٢ م. كان من أصل

أممي، وصار من أنبغ علماء الكتاب المقدس. لكن الكاردينال نيومان قد قلل من شأنه في الآونة الأخيرة باعتباره أنه متهوّد. فلماذا دُعيَ متهوّداً؟ لأنه حفظ السبت. ولماذا حفظ السبت؟ «ما الذي يضطر لوسيان إلى تقديس السبت؟ كانت هذه هي العادة الشائعة» (*Truth Triumphant, 57,* by Benjamin Wilkinson).

كُتِب هذا في القرن الرابع. لاحظوا ما قال سقراط* إنه كان يحدث في ذلك الوقت: «مع أنّ جميع الكنائس تقريباً في أنحاء العالم تحتفل بالأسرار المقدسة يوم السبت من كل أسبوع، إلاّ أن المسيحيين في الإسكندرية وفي روما قد كفّوا عن صنع هذا؛ بسبب تقليد قديم» (*Ecclesiastical History, book 5, chap. 22, by Socrates*).

ما أغرب هذا! مؤرخ من القرن الرابع يقول إن جميع الكنائس في أنحاء العالم تحتفل بالأسرار المقدسة

* من مؤرخي الكنيسة البيزنطية، ولد في القسطنطينية سنة ٣٨٠ م، وكتب عن تاريخ الكنيسة في القرنين الرابع والخامس. وهو بالطبع غير سقراط الفيلسوف المعروف (المترجم).

يــوم السـبت مــن كـل أسـبوع، إلاّ في مكـانين: الإسـكندرية وروما!

انظـروا إلى ما يقولـه سوزومِن، وهـو مـؤرخ معـاصر لسقراط: «اجتمـع أهـل القسطنطينية، وأهـالي كافة الأماكن الأخـرى تقريباً، في يـوم السبت، وكذلك في أول أيـام الأسبوع، وهـي عـادة لا تراعـى في روما أو الإسكندرية مطلقاً» (Ecclesiastical History, book 7, chap. 19, by Sozomen).

أيضاً وُجِدت جماعات أشورية (نساطرة) في جميع أنحاء الهند كانوا أمناء في حياتهم التبشيرية الإنجيلية، وكانوا يجتمعون للعبادة يوم السبت. ولما دخل الهند كهنة من روما بعد ذلك بألف عام، كانت الكراهية البابوية السمة البارزة التي ميّزت اضطهادهم لهم باعتبارهم متهوّدين (راجع Truth Triumphant، ص ٢٩٨، ٢٩٩).

أما كوزما، الذي عاش بالقرب من بابل وتُقرأ كتبه على نطاق واسع بسبب استكشافاته في النصف الأول من القرن السادس، فيقول إنه وُجِد عدد غفير من الكنائس،

بكهنتها وأعضائها المسيحيين، بين البكتريين والهَن والفرس والإغريق والإدليين وبقية الهنود، التي كانت تحفظ السبت.

كتب المؤرخ «أ. سي. فِلك» عن حفظة السبت من مسيحيي الكنيسة الكَلتيّة (في ويلز واسكتلندا وأيرلندا). فكانت الكنيسة الكَلتيّة تحفظ السبت كيوم مقدس للراحة. وإن العلماء أصحاب السمعة الحسنة قد أكدوا تقديس سكان ويلز له حتى القرن الثاني عشر (راجع *Truth Triumphant*، ص ١٦٣).

«كان حفظ اليوم السابع واسع الانتشار وثابتاً بين مؤمني المشرق ومؤمني القديس توما في الهند الذين لم يتّصلوا بروما قط. كما حفظته أيضاً الجماعات التي انشقت عن روما بعد مجمع خلقيدونية، أي الأحباش واليعاقبة والمريميّون والأرمينيون» (*Truth Triumphant, 298*). «حافظ ... الأرمينيون في الهندوستان ... على الكتاب المقدس في نقاوته، وعقائدهم –على حد علم المؤلف– هي عقائد الكتاب المقدس. فضلاً عن ذلك، يحافظون على مراعاة العبادة المسيحية الجماهيرية في

أنحـــاء إمبراطوريتنـــا في اليـــوم الســـابع» (*Christian Researchs in Asia, by Buchanan, 266*).

وإليكـم بروايـة تاريخيـة أخـرى عـن مجموعـة مـن النـاس في بلغاريـا. «تعلمـت بلغاريـا في أزمنـة التبشـير الأولى أنـه لا يجـب القيـام بـأي عمـل يـوم السـبت. فأرسـل البابـا نيقـولاس الأول في القـرن التاسـع وثيقـة مطولـة إلى أمـير بلغاريـا قـال فيـها إنـه يجـب الكـفّ عـن العمـل يـوم الأحـد، لا يـوم السـبت».

«فـأعلن رئيـس الكنيسـة اليونانيـة حرمـان البابـا الرومـي، بسـبب الإهانـة الـتي وجهتـها البابويـة لـه بتدخلـها في شـؤون البـلاد. كمـا أرسـل البطـرك اليونـاني رسـالة دوّارة إلى بعـض الأسـاقفة الكبـار في الشـرق موبخـاً الكنيسـة الروميـة الكاثوليكيـة علـى عـدة عقـائد خاطئـة، مؤكـداً بصـورة خاصـة علـى عصيانـها للمجـامع الكنسـية السـابقة بإرغـام أعضائـها علـى الصيـام يـوم السـبت» (*Truth Triumphant,* 232).

وبعدهـا بمئـتي عـام أرسـل البابـا ثلاثـة ممثلـين لـه إلى القسـطنطينية باتـهامات مضـادة. وكـان مـن ضمـن

الاتهامات التي وجهها البابا إلى الكنيسة اليونانية: «لأنكم تحفظون السبت مع اليهود» (نفس المرجع السابق).

قدّست الكنائس المسيحية في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية والكنائس القوطية والولدنسية والأرمينية والسريانية والكلتية، التي أسسها باتريك، اليوم السابع باعتباره يوم السبت.

والأدلة وفيرة على أنّ المسيحيين في الجزر البريطانية والولدنيين في إيطاليا والألبنجيين في فرنسا والمسيحيين في بلغاريا والأرمينيين في تركيا والكنائس السريانية في فلسطين ومسيحيّي القديس توما في الهند والمسيحيين الأحباش في أفريقيا والمسيحيين في الصين وأفغانستان وجنوب روسيا- جميعهم كانوا من حفظة السبت، حتى أُرغِموا على الاختباء وقُتِل أشجع قادتهم وحماتهم على يد محاكم التفتيش في القرن الرابع عشر.

فلماذا إذن تحفظ الأغلبية يوم الأحد؟ هذا لأن غالبية حفظة السبت القدماء عُذِّبوا وقُتلوا كما تنبأ

الكتـــاب في رؤيـــا ١٧ : ٦، حيـــث رأى يوحنـــا امـــــرأة «سَــكْرَى مِــنْ دَمِ الْقِدِّيسِــينَ وَمِــنْ دَمِ شُــهَدَاءِ يَسُــوعَ».

في يـــوم مـــا، إذا كنــت نلــت الخــلاص، ســـتتقابل وتتعــرّف علــى ملايــين مــن البشــر الذيــن مــاتوا في ســبيل السـبت. فــإذا كنــت مــن حفظــة السـبت، ســتكون لــك شــركة رائعــة مــع هــؤلاء النــاس. هــل تحــب أن تقــول لأولئـــك الذيـــن أُحرِقـــوا علـــى الوتـــد، أو قُطعـــت رؤوســـهم، أو شُـــنقوا، أو ذبلـــوا في غيـــاهب الســـجون: «كنــت أخشــى أن أحفــظ الســبت لأنــي كنــت ســأفقد وظيفــتي»؟ هــل ســيمكنك أن تقــول: «كنــت أخشــى أن يســخر أحــد مــني» أو «كنــت أخشــى أن أفقــد إعجــاب النــاس بــي إذا حفظــت السـبت»؟ ســنخجل مــن أنفســنا إذا أجبنــاهم بمثــل هــذه الأعــذار! قريبــاً جــداً ســيقومون إلى الحيــاة الأبديــة، ونحـــن نريـــد أن نكـــون معـــهم! وفي ذلــك اليــوم نريــد أن يجدنـــا الله مـــن حفظـــة الســبت، بــين المجموعــة الــتي حفظــت عــهد الله المقــدس.